العلاقات التجارية بين مدن المغرب الشمالية ومدن جنوب فرنسا في القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى
(دراسة تحليلية وثائقية)

د.جمال أحمد طه على*

فى الواقع يتبين لنا من خلال الأبحاث التى أعدت حول موضوع العلاقات الاقتصادية بين بلدان حوض البحر المتوسط الغربية، أنها ركزت على العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية (جنوة، بيزا، البندقية، نابلى)، وبلدان المغرب[١]، وبين أسبانيا الإسلامية وهذه الأخيرة[٢]، ولعل ذلك راجع إلى توافر أدوات البحث من مصادر ووثائق، لاسيما ما ظهر منها فى السنوات الأخيرة، وتشير هذه الأبحاث إلى تنويهات نادرة عن وجود فنادق خاصة للتجار المرسيليين فى مدن المغرب لا سيما سبتة وتلمسان وتونس وبجاية وإن كانت المصادر العربية لا تقدم لنا معلومات واضحة فيما يخص العلاقات الاقتصادية لاسيما مع هذه البلدان، فإن صمت المصادر العربية، لا يقابله صمت المصادر الأوروبية لا سيما الإرشيفية منها.

وباستثناء المقالين اللذين كتبهما جيزال شوفين Gisele Chovin الأول: عن المرسيليين فى سبتة فى القرن الثالث عشر الميلادى Les Marseillais à Ceuta au 13 siécle [٣]، والثانى: بعنوان لمحة عن العلاقات بين فرنسا والمغرب فى نهاية العصور الوسطى.

Aperçu sur les rélations de la france avec le Maroc à la fin du Moyen-Age. [٤]

فإنه من النادر ما جاءت الإشارة عن علاقات تجارية ربطت بين فرنسا وبلدان المغرب، أو حتى عن ممارسة التجار الفرنسيين لأية أعمال تجارية عبر مياه البحر المتوسط، وداخل بلدان المغرب فى القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى.

---

* * مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادى.

لكـــن بفضل الاطلاع على الوثائق التى نشرها لويس بلانكارد Louis Blancard عـــن تجـــارة مديـــنة مرسيليا فى العصور الوسطى(٥)، وكذلك بفضـــل مـــا كتـــبه الكونـــت دى ماس لاترى عن العلاقات التجارية لإفريقيا الشـــمالية أو المغـــرب مـــع الأمـــم المسيحية فى العصر الوسيط(٦)، وأيضاً الإطـــلاع على بعض أرشيفات المدن الفرنسية (مونبيليه- ناربون) يمكن لنا علـــى الرغم من التغيرات المتعددة والفجوات الكثيرة التى لازمت الأرشيفات بفقدان كثير من السنوات التى لا تشير لنا فيها عن هذا النشاط، وانطلاقاً من الملاحظـــات السالفة الذكر يمكن -فيما أعتقد- البحث فى موضوع العلاقات الـــتجارية بيـــن مـــدن فرنسا الجنوبية ومدن المغرب الشمالية خلال القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى، ولعل هذا البحث ينير جوانب متعددة، تظهر بعض مظاهر التواصل الاقتصادى بين البلدين خلال هذا القرن.

والســـؤال المطروح فى بداية هذا البحث - والذى أعتقد أنه كان وراء إغفال المصادر للدور الفرنسى فى تجارة البحر المتوسط مع بلدان المغرب- هـــو مـــتى اســـتطاع التجار الفرنسيون التخلص من عملية التفوق التجارى الإيطالى والأسبانى والقطلانى فى حوض البحر المتوسط؟.

فـــى الواقـــع، إن الإجابة على هذا التساؤل لتحديد الزمن الذى استطاع فيه الفرنسيون التخلص النهائى من هذا التفوق- وهو القرن الخامس عشر المـــيلادى- يجعلـــنا مقتنعيـــن بأن هناك علاقات اقتصادية قوية ربطت بين فرنســـا وبلـــدان المغرب - وهو ما سنحاول أن نوضحه- مثلما كانت هناك علاقـــات تجارية بين هذه الأخيرة وبين إيطاليا وأسبانيا، وإن كان التفوق قد عّقد لهما فى هذا المجال قبل بدايات القرن الخامس عشر الميلادى.

وعلـــى الـــرغم مـــن أن المدن الفرنسية، لاسيما مدينة مرسيليا كانت مزدهـــرة قلـــيلاً فـــى حوالـــى نهاية القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر المـــيلادى، وأصـــبحت خـــلال هذا القرن أكثر نشاطاً فى تجارتها مع المدن الأوروبية، إلا أننا لم نعثر على أية وثيقة تجارية محددة لها فى تجارتها مع المـــدن المغربية خلال هذا القرن. وإن كان دى ماس لاترى يؤكد أن التجار المرســـيليين كـــانوا يترددون على مدينة سبتة منذ القرنين الرابع والخامس

الهجريين/ العاشر والحادى عشر الميلاديين، واللذين اعتبرهما دى ماس لاترى أنهما أكثر خطورة فى الموانى البحرية(7).

وعلى ما يبدو كانت بدايات القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى مناسبة لتأسيس التجارة الفرنسية البحرية فى حوض البحر المتوسط، لاسيما فى مجال النقل، فبدأت مرسيليا تأخذ مكانها فى المعاهدات التجارية المغربية، ففى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى بدأ تجار مرسيليا ومونبيليه بعقد معاهدات تجارية مع بلدان المغرب(8)، وقد أنعكس ذلك بصورة أساسية فى الأعمال الفرنسية التجارية فى مطلع القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى(9)ومن ناحية أخرى فإن الجمهوريات الإيطالية شعرت بتزايد منافسة الأساطيل الفرنسية والتى جعلت من مرسيليا مركزاً لها(10).

ومن المعروف أنه كما حاول مسلمو بلاد المغرب فى تناسق عجيب أن يوسعوا علاقاتهم التجارية المتتابعة عن طريق البر عبر العصر الوسيط، حاولوا أيضاً عن طريق امتلاكهم للأساطيل البحرية أن يوثقوا ويوسعوا من علاقاتهم الاقتصادية مع البلدان الأوروبية المسيحية عبر حوض البحر المتوسط، وهناك شواهد كثيرة تؤكد هذه العلاقات.

وبفضل الوثائق التى نشرها L. Blancard نستطيع أن نحدد النصف الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، لبدء العلاقات التجارية الفرنسية الفعالة مع مدن المغرب الإسلامى، فسرعان ما أصبحت هذه العلاقات أكثر أهمية من تلك التى كانت تربط مرسيليا مع جنوة وغيرها من المدن البحرية الإيطالية، حيث شهدت بدايات هذا القرن تحولاً خطيراً فى خطوط النقل البحرى عبر المتوسط، فكانت معظم سفن المدن الإيطالية المبحرة إلى بلدان المغرب الأقصى لا تقدم على العبور من الشمال إلى الجنوب فى البحر المتوسط بشحناتها الكاملة، إلا بعد مرورها بمحاذاة الساحل الشمالى وصولاً إلى مدينة مرسيليا، وانطلاقاً منها إلى مدن المغرب الأقصى(11).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تجار مدينة مونبيليه ترددوا أيضاً على مدينة سبتة فى القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى، كما كانت لهؤلاء التجار علاقاتهم التجارية مع مدينة جربة فى القرن نفسه[12].

ويؤكد دى ماس لاترى أن فى نهاية القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى، وبداية القرن السابع الهجرى/ الثالث عشرالميلادى، كانت مدينة سبتة من بين الموانئ فى الشمال الأفريقى التى يتردد عليها التجار المرسيليون[13]، ومن المعروف أن مدينة سبتة كانت تعيش أساساً على المبادلات التجارية مع عالم حوض البحر المتوسط، ولم يكن لها أن تستغنى عن النقد الأجنبى الذى كان الأداة الأساسية لحياتها اليومية، حيث يوجد بكثرة فى المدينة، ويستعمل على نطاق واسع فى اقتصاد يقوم على المبادلات النقدية[14].

هكذا سيبدأ انتقال السيطرة التجارية البحرية فى حوض البحر الأبيض المتوسط الغربى إلى التجار الفرنسيين، وهكذا ستكون بدايات التحول فى التبادل التجارى الذى كان معقوداً خلال القرون السابقة للمدن الإيطالية مع بلدان المغرب، إلى المدن الفرنسية، لا سيماً مدينة مرسيليا.

فالعقود التجارية فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى والمخصصة لأسهم التاجر الرأسمالى المرسيليى إتيان دى ماندويل Etienne de Manduel وحصصه، وكذلك التعاليق الشهيرة والوجيزة من الموثقين أملريس، Amalric و جنفيه Janvier توضح لنا تطور تجارة مرسيليا مع بلدان المغرب الإسلامى[15]. وبدء فرض سيطرتها بدءاً من القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى، فالتجار المرسيليون- لا سيما من أعضاء أسرة Manduel - كانوا من الأوائل الذين تبعوا التجار الإيطاليين إلى بلاد المغرب وبصفة خاصة إلى سبتة وبجاية[16].

ولا غرو أن نرى التاجر Etienne de Manduel يبدأ عمله كصبى على أحد المراكب، ثم يصبح سكرتيراً على سفينة أخرى، ثم يمتلك سفينة صغيرة، وخلال عشرين عاماً من بدء عمله، يبدأ رحلاته التجارية إلى صقلية، ثم يصعد قليلاً فقليلاً ليصبح تاجراً بحرياً كبيراً له تجارته الواسعة مع بلدان المغرب والمشرق، وبعد ذلك نجد أبناءه برنار Bernard و جان

Jean محاسبين وأصبحوا بعد ذلك يديرون تجارة مرسيليا[17]، وفى هذا السياق، ولأول مرة، تطلعنا أحد الوثائق المؤرخة فى٦١٧هـ/١٢٢٩م، عن وجود فندق للتجار المرسيليين فى مدينة تونس[18]، ويعنى ذلك أن التجارة الفرنسية فى البلدان المغربية انتقلت من دورها من نقل البضائع إلى التبادل التجارى، وأصبح التجار الفرنسيون يستقرون كغيرهم من التجار الأوربيين فى المدن المغربية لمباشرة أعمالهم التجارية.

ويبدو أن التجارة بين مدن فرنسا الجنوبية وتونس بدأت تنشط مع مطلع العقد الثالث من القرن السابع الهجرى/ العقد الرابع من القرن الثالث عشر الميلادى، ويستدل على ذلك من وثيقة مؤرخة فى عام ٦٢٧هـ/١٢ يونية عام ١٢٣٠م، بخصوص تاجر من مدينة مونبيليه يدعى بيتر يوس سلفاستر Petrus Silvester استلم طلبية من الرأسمالى المرسيلى Etienne de Manduel على يد كاتب العقود janvier جانفيه وهى عبارة عن ٤٠ ليرة ملكية مدفوعة فى شكل ٦٣ Besants مذهبة – مطلية بماء الذهب– ليحملها معه إلى جنوة، ثم من هناك إلى تونس ليتاجر بها، على أن يكون ربع الربح من تجارة هذه النقود عائداً للتاجر المونبليانى الذى قام بالرحلة، وذلك عند عودته إلى مدينة مرسيليا[19]، ووثيقة مؤرخة فى عام ٦٣٠هـ/٢٨ فبراير ١٢٣٢م تخص انخراط أحد تجار مدينة برشلونه المدعو جوهان ريفس Johannes Ruffus فى تجارة Barnard ابن التاجر الرأسمالى المرسيلى Manduel مفضلاً التجارة فى الأراضى الإسلامية[20]، كما أن هناك ثلاثة نصوص من تنظيم les Commendes* مبرمة فى مرسيليا بخصوص علاقاتها التجارية مع تونس، أولها مؤرخ فى ١٢ يونيه ١٢٣٠م بخصوص نقود – غير محددة القيمة– والثانى مؤرخ فى ١٢ أبريل ١٢٣٤م، والثالث مؤرخ فى أغسطس ١٢٣٥م مخصص لشراء المرجان[21].

من دراسة ٨٥ عقد من عقود القوانين التجارية للتاجر ماندويل Etienne Manduel والخاصة بتجارته الواسعة مع شتى بلدان حوض البحر المتوسط، يتبين لنا من خلال المخالصات– قسائم الإيصال– ملائمة التقديرات للتجارة المرسيلية مع بلدان المغرب، فـ٥٢ عقداً منها مرتبط

بالتجارة مع مدن المغرب الواقعة على ساحل المتوسط من سبتة حتى تونس. أى أن نسبة ٦٠% من هذه العقود مرتبط بالتجارة المغربية، بينما إحدى عشر عقداً منها مرتبط بعكا (Acre) وسوريا، و٨ بصقلية، و٢ بمصر، والباقى موزع بين مدينة برشلونه ومونبيليه وأسواق إنجلترا[22].

وإذا ما حاولنا توزيع الاثنين وخمسين عقداً الخاصة بالتجارة مع المدن المغربية، وفترات تعاقدها، نجد أن كل العقود التى خصت مدينة وهران سابقة عن عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م، فى حين نجد من ١٧ إلى ٢٤ عقداً خصوا مدينة بجاية جاء تاريخ تعاقدهم بعد عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م، وست عقود لمدينة تونس جاء تاريخهم سابقاً لعام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م[23]، فأغلب العقود هنا تخص مدينة بجابة وسبتة. ومن المعروف أن لمدينة سبتة منذ قيام دولة الموحدين تجارة مزدهرة مع بلدان الحوض الغربى للبحر المتوسط، وغدت سبتة منفذاً لمنتجات المغرب والسودان الغربى، ومركزاً لتصريف السلع التى يجلبها تجار جنوة ومرسيليا ومملكة آرغون لتحتل سبتة مكان الصدارة بين موانى شمال إفريقيا، وأصبحت محطة لرحلات المراكب من جنوة إلى أسبانيا وفرنسا[24].

وعلى الرغم من أن هذه العقود لا تعطينا تصوراً كاملاً عن أنواع السلع المتبادلة فى حركة التجارة الفرنسية المغربية، إلا أننا نلاحظ من خلالها أن هناك تقنيات عالية استحدثت على حركة التجارة فى حوض المتوسط ، حيث أصبح للموثقين طرقاً خاصة فى إجراء عمليات التأمين على السفن والبضائع تلزم التجار فى رحلاتهم على تنفيذ التعليمات بدقة. فشملت العقود التجارية الأصلية كلمة (la Commenda) فى مميزات خاصة وترتيب موجز. موضحة التنظيمات التجارية وأصناف التجار وقوانين الشراكة التجارية[25].

فنجد la Commenda فى تباين واضح خلال النصف الأول من القرن السابع عشر الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، تلعب الدور الأكثر والأهم فى مدينة مرسيليا وذلك بسبب غنى التجار الذين أصبح معظمهم رأسماليين، لتكون La Commenda القوة المسيطرة على حركة التجارة، وفضل

أعضـــاؤها التجارة الخارجية فى أعمالهم نظراً للفوائد الكبيرة المتوقعة من وراء ذلك[26].

وتصـــف لـــنا النصـــوص التى تحدثنا عن العلاقات التجارية التونسية الفرنســـية الـــثلاث حالات الأساسية لـــ La Commenda، فالحالة الأولى: تشـــمل الاتفاق على العملة المستعملة فى شراء السلع والبضائع، والثانية: تشمل الاتفاق على أنواع البضائع المباعة والزائدة، والثالثة: تشمل الاتفاق على السفن المستأجرة للقيام بالرحلات التجارية[27].

وبخصـــوص الحالة الأخيرة نجد La Commenda متكررة فى عمليات الإبحـــار بخصوص رواتب الموظفين الأساسيين فى هذه الأعمال، حيث تقدر الرواتـــب علـــى فوائـــد المبيعات من البضائع كجزء منفصل[28] وتمدنا أحد الوثـــائق المؤرخـــة فى عام ٦٤١هـــ/٣١ مايو ١٢٤٣ بمعلومات مهمة عن الأساليب المستعملة فى تجارة البحر المتوسط ، فالسفن التجارية تكون لمالك واحـــد أو ملـــك عـــدة أشـــخاص، ليسيطر على هذه التجارة نظام المشاركة العـــريض المتشعب، وذلك للتقليل من مخاطر أعالى البحار، فتجمع الثروات والقوة فى يد بعض الأسر صاحبة النفوذ لم يحل من التعامل بنظام المشاركة الخاصة بملكية السفن.

وفـــى الفترة من ٦٠٩هـــ/١٢١٢ حتى٦٤٤هـــ/١٢٤٦م، نرى للتاجر الرأســـــمالى المرســـــيلى Manduel عشـــــرين عقـــــداً مـــــن La Commenda خاصـــة باليهود المرتهنين لأعماله فى النقل البحرى إلى مدينة بجاية، وسبتة ووهران وتلمسان وصقلية وأسبانيا[29]، وتونس فهناك نـــص لواحـــدة مـــن وثائق La Commenda مؤرخة فى٦٤١هـــ/٣١مايو ١٢٤٣م مبرم فى مرسيليا لسفينة إلى مكان وصولها فى تونس[30].

وكان تجار مرسيليا عن طريق وكلائهم من اليهود فى مدينة سبتة يبيعون عمـــلات عربـــية (أنصاف دراهم Millares) تضرب فى مدينة مونبيليه[31]، وهـــو أمـــر تؤكـــده واحـــدة من النصوص العديدة لـــ la Commenda فى الدراهـــم المـــبرمة فـــى مرســـيليا وعلاقاتهـــا مع الشمال الإفريقى ففى أحد النصوص en millares هى قطع من النقود لأنصاف الدراهم المذهبة فى وزن جيد تستخدم فى شراء البضائع فى الأماكن البعيدة عائد فائدتها التجارية أفضل

ويؤكد بن قربة صالح على أن هذا الأمر كان نتيجة الآثار العميقة التى خلفتها النقود الفضية المغربية الموحدية فى العملات الأوربية، ونالت إعجابهم وقلدوها فضربوا على شاكلة الدراهم الموحدية ما عرف باسم المليار Milliars وهو مربع الشكل، لكنه ذو قيمة منخفضة عن الدرهم الموحدى[33] (32)

والواقع أنه بغض النظر عن الدور الفعال الذى تلعبه العملة فى كل نظام اقتصادى، باعتبارها وسيلة مهمة للتبادل ووسيلة معيارية للقيم، فإن سكها يعبر عن اختيارات سياسة مرتبطة بقضية المشروعية السياسية، فالسكة ليست فقط أداة لنقل الثروة وتلبية الحاجات، إنما هى أيضاً نقل لمظاهر السلطة ورموزها. لذا جاء الاهتمام من الفقهاء المسلمين بتبرير شرعية التعامل التجارى مع غير المسلمين، عاملين على حل المشكلات التى تطرحها عملية الصرف والمعادلات انطلاقاً من الدرهم الفضى والدينار الذهبى، وتقسيماتها الفرعية، وذلك بهدف الوصول إلى نظام موحد للأوزان والنقود من جهة، ومن جهة أخرى لأن الشرع علق كثيراً من الأحكام بهما[34].

وفى معرض تطرق الفقيه السبتى أبو العباس أحمد العزفى المتوفى ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م، لقضية وجود "أسماء الله وكتابه العزيز" منقوشة فى الدرهم وإشكالية التعامل بها "لأن البيع بها والشراء يؤدى أن يمسها الطاهر والنجس والنصرانى" يستند الفقيه السبتى على السلطة الشرعية للقاضى الوليد بن رشد القائل: "إنما لم ينكر السلف عن ذلك على ما فيه وأجازوا البيع، والشراء للمنفعة العامة للمسلمين والضرورة الماسة إليها، لأنهم يميزون بالسكك طيب الذهب والفضة، ويعرفون بها مقدار فضل بعضها على بعض فى الطيب، فتصح به البيوع فيما بينهم" [35] هكذا جاء الاهتمام بمسألة النقد فى المعاملات التجارية مع الأوربيين لا سيما فى المدن الساحلية المغربية التى كان يستعمل فيها على نطاق واسع، وهى مدن يقوم اقتصادها على المبادلات النقدية.

لكن التعليقات الوجيزة من الموثق Amalric والمنطبقة على أربعة شهور فقط من مارس إلى يوليو ١٢٤٨م، تكون لدينا انطباعاً على أن ثمة تغيرات مفاجئة فى تجارة مدن جنوب فرنسا مع مدن الشمال الأفريقى،

وتسمح لنا هذه العقود على تقدير حجم هذه التغيرات، فمن خلال ٤٨٣ عقداً خاصين بـ La Commenda فى عملية الإبحار حتى أماكن الوصول المرادة خلال أربع شهور، نجد ٧٢ عقداً فقط يخصون المدن المغربية بنسبة ١٤% مقابل ١٥٠ عقداً لعكا (Acre) وسوريا بنسبة ٣٦% و ١١٢ لنابلى وصقلية بنسبة ٢٢%. على أن من بين العقود الخاصة بمدن الشمال الإفريقى نجد ١٧ عقداً لمدينة سبتة مقابل ثلاثة فقط لمدينة بجاية[36].

وفى اعتقادنا أن هذه التغيرات على سير حركة التجارة الفرنسية المغربية متوافقة تماماً مع التدهور الذى لحق بالدولة الموحدية، لاسيما بعد حدوث عدد من الفتن والثورات التى شهدتها العواصم السياسية للمغرب الأقصى.

وبالمقارنة بين مجموع العقود التى خصت سبتة خلال هذه الفترة وهى سبعة عشر عقداً مقابل ثلاثة فقط لمدينة بجاية، يمكن القول إنه على الرغم من حدوث الفتن والثورات والاضطرابات الداخلية التى شهدتها مدن المغرب الأقصى آنذاك، إلا أن سيطرة أسرة بنى العزفى على سبتة وحكمها لها منذ عام ٦٤٧- ٧٢٨هـ/ ١٢٤٩- ١٣٣٨، حظيت المدينة بفترة من النشاط التجارى والازدهار الاقتصادى، كما حظيت بقوة سياسية حقيقة شجعت الفرنسيين على استمرار مزاولة نشاطهم التجارى بهذه المدينة وإن كان قد انخفض لقليل من الوقت.

وعلى الرغم من الضعف الطارئ فى حركة النشاط التجارى عن طريق بعض الحوادث التى مست التجارة ، إلا أن سبتة ظلت مركزاً كبيراً للتجارة العالمية[37]، فاستقبلت سبتة خلال النصف الثانى من هذا القرن تجار مرسيليا ومونبيليه ونارون[38] ففى عام٦٤٦هـ/١٢٤٨م نجد أن أمير سبتة يعاود طلبا من تجار مرسيليا بخصوص شحنة أطعمة وجلود ناعمة وشمع[39]، كما أن وثيقة مؤرخة فى ٦٤٦هـ/١٦ مارس ١٢٤٨م يطلب فيها تاجر من مدينة مونبيليه يدعى سيمون ريكارد Simon Ricard عن طريق وكيله فى مدينة مرسيليا المدعوم جيوم ريكادور Guillaume Recadour إعطاء ٥٤٣ Sous للتاجر المرسيلى جان فيلافور

Jean Villefort والمسافر إلى مدينة سبتة، ليشترى بهذه الكمية حريراً من هناك[40].

وهناك وثيقة ثانية مؤرخة فى٦٤٦هـ/٢٧مايو ١٢٤٨م يطلب فيها التاجر المرسيلى بير أمبرى Pierre Imbret من التاجر اليهودى بونسك فيرزول Bonisoc Ferusol مبلغ ٥٩٠ Sous ليشترى به كتان لتصديره إلى الجزائر وتونس[41].

ووثيقة ثالثة مؤرخة فى٦٤٦هـ/٢٧ مايو ١٢٤٨م يطلب فيها التاجر اليهودى بنانه فوبوك Bana fous Boc ابن التاجر استريك Astruc من التاجر اليهودى Bonisoc ferusol ٢٠٠ Sous ليشترى بـ ٢٠ ليرة قرنفل وبعشرين ليرة أخرى جوز المسك المصدر إلى ميورقة Majorque ومن مدن المغرب[42].

كما أن وثيقة رابعة مؤرخة فى٦٤٦هـ/٢٧ مايو ١٢٤٨م يطلب فيها المرسيلى بونس آتو Pons Atoux ٤٠٠ Sous من التاجر اليهودى Bonisoc ferusol ليشترى بضائع زهيدة محمولة من ميورقة Majorque ومن مدن المغرب[43].

ووثيقة خامسة مؤرخة فى٦٤٦هـ/٢٨ مايو ١٢٤٨م يطلب فيها التاجر المرسيلى جوزيف تنشير Jeseph Tanchures ٢٤٠ Sous من التاجر اليهودى Bonisoc ferusol لكى يشترى جوز مسك وخشب من مدن المغرب الشمالية[44].

أما الوثيقة السادسة المؤرخة فى٦٤٦هـ/٢٧ يوليو ١٢٤٨م فيعطى فيها التاجرلانفرك ساسارى lanfranc Sassari وصلاً بـ ٥٠ Besants لتاجرين من مدينة مرسيليا وهما أمبرواز باستوم Ambroise Baston و جان راى Jean reille يطلب منهم شراء أشياء من ميورقة خلال رحلتهم إلى بلاد المغرب[45].

كما أن تجار المدن المغربية عبروا البحر إلى البلاد الأوروبية، حيث إن هناك عدداً من الرحلات كانت معروفة ، ففى عام٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م نلاحظ أن التاجر التلمسانى أبو أرلان Abou Arlan صدر أكثر من ٢ طن من حجر الشب إلى مدينة برشلونة ورحل إلى مدينة مونبيليه ليشترى منها عتاد

سفن تمثل قيمتها ٣٠ كيلو من الذهب[46]، كما أن هذه الفترة شهدت قيام بعض من وكلاء السلاطين المسلمين بعمل تجارى، ففى عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، باع رسول من سلطان بنى عبدالواد حجر الشب فى برشلونه واشترى عتاد سفن من مدينة مونبيليه أيضاً[47].

ومن خلال الوثائق السالفة والمتعلقة بالتجارة الفرنسية مع بلدان المغرب، يتضح لنا أفول نجم أسرة التاجر الرأسمالى المرسيلى ماندويل Mandeuel وظهور عدد آخر من التجار اليهود.

وإذا كان النصف الأول من القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى قد شهد نشاطاً ملحوظاً فى التجارة الفرنسية المغربية، إلا أن غموضاً وصمتاً من المصادر الأوربية يخيم على هذه العلاقات فى النصف الثانى من هذا القرن، وعلى الرغم من هذا إلا إننا لا نوافق على رأى بارتيه M.Baratier الذى يذكر أن النصف الثانى من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر شهد تدهوراً فى هذه العلاقات[48].

ففى أحد الوثائق بأرشيف مدينة مونبيليه والمؤرخة فى مطلع النصف الثانى من القرن السابع الهجرى بالتحديد فى عام ٦٥٤/ الثالث عشر الميلادى- ٢٥ أغسطس ١٢٥٦م- تم تخصيص ٦٠٠ Besants لمدة عام لفندق القنصلية فى تونس مع المحلات ومجموع الموثقين والمطاعم والمقاهى والحانات[49]، كما أن فندق المرسيليين بسبتة ظل مفتوحاً للتجار الفرنسيين المقيمين فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[50]. كما أن أحد العقود المؤرخة فىعام ٦٥٥هـ/٢٧ أغسطس ١٢٥٧م يوضح لنا أن ثمة منافسة تجارية بين تجار مونبيليه والتجار القطلان فى تونس. ففى هذا العقد يرخص الملك خايمى الأول Jacques I ملك أرجون للقنصل القطلانى فى تونس برنجيه بيرليته Berenguer- periliata بتقليص نشاط تجار مونبيليه وذلك بمصادرة تجارتهم حتى يحصّل القنصل ديون الملك المستحقة عليهم[51].

وإذا كان النصف الثانى من هذا القرن قد شهد فتوراً فى العلاقات التجارية، فهذا مرجعه الأساسى إلى الحروب الصليبية على المشرق، كما يتضح لنا ذلك من خلال الحملة الصليبية الثامنة التى كانت موجهة إلى

تونس فى عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، بسبب تداعيات اقتصادية لخصها لنا المؤرخ ابن خلدون فى ادعاء تجار جنوب فرنسا لأموال كانوا اقرضوها إلى التاجر التونسى الليانى الموظف الكبير عند الخليفة المستنصر الحفصى الذى نكب من قبل السلطان والذى أنتهى أمره بالقتل وأستصفاء أمواله، فطالب أولئك المرابون بالديون التى لهم عليه بدون أن تكون لديهم حجج فى ذلك، فألغى السلطان طلبهم ولم يستجيب لهم مما دعاهم إلى التشكى إلى لويس التاسع حتى أضطر الخليفة المستنصر إلى إرسال سفارة إلى فرنسا للتفاوض فى هذا الموضوع لكن لويس التاسع أرسل إلى ملوك النصارى يستنفرهم إلى غزو تونس، على الرغم من أن الخليفة المستنصر أرسل وفداً إلى الملك الفرنسى للمصالحة على أن يكف عما عزم عليه، وحمل هذا الوفد ثمانون ألفا من الذهب لاستمالة الفرنسيين، لكن لم تنجح هذه المحاولة بعد أن قبض هؤلاء الأموال وادعوا أنهم لم يقبضوها(52).

ولا شك أن الأحداث المتتابعة لهذه الحملة أثرت تأثيراً كبيراً على العلاقات التجارية بين مدن جنوب فرنسا ومدن المغرب الشمالية خلال هذه الفترة وقد عبر عن ذلك ابن خلدون خير تعبير بقوله: "وانقبض تجار النصارى عن تعاهد بلاد المسلمين"(53) فشهدت الفنادق الأوروبية -لاسيما الفنادق المرسيلية- خلال هذه الفترة صعوبات كثيرة وازعاجات إدارية وصلت إلى حد وقف التجارة إلى مدينة بجاية فى السنوات التى سبقت عام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م، وإلى غلق فندق مدينة سبتة(54).

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات التى سببتها الحملة الصليبية الثامنة على تونس خلال العقد الثانى من النصف الثانى من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، ورغم الصمت الكامل من المصادر الأرشيفية عن موضوع العلاقات التجارية الفرنسية المغربية، إلا أننا لا نعتقد أن بلدان المغرب كانت قد أغلقت تماماً موانيها وفى آن واحد أمام حركة التجارة الفرنسية. بل إن الموانى فى كل النصف الثانى من هذا القرن ظلت مفتوحة كما يؤكد ذلك روبر هنرى(55).

فقد نشطت مرة ثانية حركة التجارة الفرنسية مع مدن المغرب بفضل اتفاقية السلم والتجارة والتى عقدت فى٦٦٩هـ/ نوفمبر١٢٧٠م، بين الملك

Philippe III (Leherdi) ملك فرنسا، وشارل دجون Charled d'Ajon ملـك صـقلية و تيبو Thibout ملك نافار Navarre ومن جهة أخرى مع الخليفة المستنصر، تلك المعاهدة التى من خلالها "ناقشوا الموضوعات العليا المختلفة" ومن أهمها إعادة أعمالهم التجارية، فخلال خمسة عشر سنة يكون لديهـم الحـق فـى إجراء عمليات تجارية فيما بينهم، وفى جانب قليل من الشـروط العامة وبشكل أكثر خصوصية تشير هذه الاتفاقية إلى التنازل عن الحقوق غير الشرعية "مثل الحقوق الضائعة فى حالة غرق سفينة" [56].

ومع مطلع القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى ، وبالتحديد فى عـام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م، طلبت السلطة المركزية المرسيلية من حاكم مدينة بجاية إعادة إصلاح فندق مرسيليا وترميمه[57].

إقامة التجار بالفنادق القنصلية ببلاد المغرب:

مثلما هو الحال فى البلاد الأوروبية، حيث يقيم التجار الغرباء فى فنادق خاصـة بهـم، كـان الحال أيضاً على الأراضى الإسلامية ، فالتجار الغرباء بصـفة عامة كانوا مقسمين حسب قومياتهم إلى مجموعات متباينة يقيمون فى ضواحى المدن أو فى منطقة حضرية واحدة، لكن كل مجموعة منهم لها فندقها الخاص بها[58] ففى خارج المدن العربية لاسيما الساحلية منها مناطق أو لـنقل أحياء عرفت بنسبتها إلى الجاليات الأجنبية التى تقطنها مثل (حى الجنويـن وحـى البـيازنة وحى المرسيليين) وعلى سبيل المثال فى مدينة تونـس أقيمـت الفنادق المسيحية بين البحيرة وميناء المدينة، كما أنه فى بعض المدن الصغيرة كان هناك فندق واحد لخدمة التجار الغرباء من مختلف الجنسـيات، وفـى هـذه الحالة كانت توجد حواجز داخل الفندق تفصل بين الـنزلاء من الجنسيات المختلفة[59]، ونظراً لحركة التبادل التجارى بين مدن جـنوب فرنسـا ومدن المغرب الشمالية خلال القرن السابع الهجرى/الثالث عشـر الميلادى فإن عدداً كبيراً من التجار الفرنسيين فضلوا الإقامة بالمدن المغربـية ليسهلوا مهام استقبال سفنهم ونقل بضائعهم، لذا وجدت الفنادق المرسـيلية فى غالبية المدن الساحلية ببلدان المغرب[60]- على غرار فنادق الجاليات الأوربية الأخرى- وكانت هذه الفنادق عبارة عن مبنى أو مجموعة مـبان مـنظمة حولهـا ممر رئيسى توجد به مجموعة ملحقات من المرافق

الضرورية التى تخدم النزلاء[61]، مثل المتاجر الكبرى، والدكاكين الصغرى، ومقـر مسـكن القنصل، والكنيسة، والمقبرة والفرن ومكتب الموثق وحمام عمومـى[62]، ومطاعم ومقاهى وحانات[63]، ومكتب لسكرتارية الديوان[64]، ومخازن[65].

وكـان الفندق بمثابة "بيت للأمة" قام بدور الحصانة الدولية فهو يؤمن عملـية اسـتغلالهم بشـكل ما، فأفران وحمامات وحانات ودكاكين ومقاهى الفندق مخصصة للمسيحيين المقيمين على أرض الإسلام فقط[66].

أمـا الموظفون المعينون من قبل الدولة فكانوا يختصون بأبناء جنسهم فقط، فالموثق كان يتولى كتابة أو تحرير العقود العامة أو الخاصة، والكاهن أو القـس كان يقوم بخدمة مصلى الكنيسة الموجودة فى إحدى الردهات أو الموجـودة فى مبنى صغير، والقضاة من أجل الدعاوى التى كانت ترفع ضد رعايـاهم حيـث يقـوم القضـاة بالترافع عنهم وفض المنازعات القانونية الـتجارية، وعلـى رأس هـؤلاء يوجد القنصل ممثلاً أعلى لأبناء بلده[67]، وتتجلى التزاماته فى الدفاع عن مصالح جاليته سواء تجاه السلطات المحلية أو الأجنبية ، وإدارة الحى أو المدينة الصغيرة التى تقوم فيها الجالية، وربما يقوم بمهمة القضاء بين الرعايا[68].

ولكـن الوثائق لا تفصح عما إذا كانت إقامة القنصل بهذه الفنادق لها طابع الاستمرارية أم لا؟ وقد يسمح قانون مدينة مرسيليا التجارى لعام ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م، بالظن أن القناصل لم يكونوا ملزمين بالتواجد بصفة دائمة فـى كـل موانـى المغرب، وفى بعض الأحيان كان القنصل يعين لمدة سنة، وكـان يقسـم بالإنجـيل بعدم السماح بإقامة مكان للدعارة فى الفندق الذى يشـرف عليه، وكذلك عدم بيع الخمر الأجنبى إلا بعد نفاذ الخمر المرسيليى، ولا يسـمح بكـراء الحوانيت للأجانب بدون استشارة المسؤولين فى المدن الأوروبية التى ينتمون إليها[69].

وكانت حكومات هذه الجاليات تخصص ميزانية لنفقات هذه الفنادق فقد خصـص لفـندق مرسـيليا بمدينة تونس ٦٠٠ Besants لنفقات مجموعة الموثقين والمطاعم والمقاهى والحانات[70].

وفيما أعتقد أن هذا كافياً لإثبات أن الفرنسيين لم يكونوا تجاراً طارئين خلال القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى فى مدن المغرب الشمالية، ولهم حياتهم الخاصة بهم داخل فنادقهم وأحيائهم الصغيرة.

منطقة الجمرك:

قبل ذهاب التجار إلى فنادقهم، وبعد إفراغ بضائعهم وسلعهم من المراكب، يتوقفون فى منطقة الجمرك، حيث تتم عملية الإجراءات الجمركية على السلع والبضائع، والتى غالباً ما كان يتم الإعلان عن بيعها بالمزاد العلنى فى أماكن وصولها[71].

والجمرك عبارة عن مكتب تجارى للدولة، توجد به مجموعة من المنظمين التجاريين لدخول السلع التجارية ومقدار ما عليها من ضرائب، ومن المعروف أنه فى أغلب البلدان الإسلامية كانت ضريبة الديوان المفروضة على التجار الأجانب هى ١٠% ، إلا أن على أرض المغرب الإسلامى كانت هذه الضريبة متغيرة وليست ثابتة، حيث خفضت فى كثير من الفترات إلى ٨%، وهكذا يكون على التجار الأجانب تسديد ما عليهم من حقوق للجمرك، كما كان عليهم أيضاً دفع رسوم قليلة إلى مجموعة السماسرة والحمالين والمترجمين الموجودين بجوار مكتب الجمرك، وذلك قبل الذهاب إلى فنادقهم[72].

وقد تعرض بعض التجار المرسيليين للضرب فى مدينة بجاية عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، لأنهم رفضوا تسديد حقوق الجمرك وتسليم بضائعهم قبل معرفة الثمن[73].

وفى حالة عدم بيع سلع التاجر الأجنبى تخزن تلك البضائع فى مخزن الجمرك، وكان رسم التخزين محدداً بضريبة ثابتة، ولكنها متغيرة أحياناً فى حالة ما إذا كانت البضائع كثيرة، ولا يستوعبها المخزن، فتودع فى فناء مخزن الجمرك[74].

الصادرات والواردات:

تناولت الوثائق أيضاً موضوعات الصادرات والواردات، وإن كانت لا تشير إلى الأسعار فإنها تلقى أضواء مهمة عن النشاط الاقتصادى خلال هذا القرن.

والقائمة المثبتة بواسطة Mas-Lataire وما جاء من إشارات فى الوثائق التى نشرها L. Blancard خير شاهد على حركة تبادل السلع التجارية الذى شهدها هذا القرن، فقد تميزت البضائع المصدرة من بلدان المغرب إلى جنوب فرنسا فى أنواعها وأحجامها، وجاء فى مقدمتها ما تميزت به بلاد المغرب من مصنوعات محلية تقليدية مثل الملابس من أصواف وقطن وحرير وكتان وقماش وفرو[75]، كما ارتبطت بتجارة المنسوجات، تجارة السجاد من كل الأصناف[76].

وجاءت التجارة فى المعادن لاسيما (الذهب والفضة والعملات النقدية) فى المقام الثانى كسلعة كبرى للتصدير، فالتجارة فى الذهب بين البلدان الأوروبية وبلاد المغرب كانت ذات أهمية كبرى منذ بداية القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى، فالدينار المغربى كانت له قيمة كبرى فى حسابات مدينة مونبيليه فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر وبداية القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى[77]، ويضاف إلى الذهب التجارة فى الرصاص والزئبق، وقليل من المصنوعات المعدنية.[78] ويأتى حجر الشب فى مقدمة الصادرات، وكذلك شمع العسل[79].

أما عن المنتجات الزراعية فجاء الزيت فى الدرجة الأولى من الأهمية، ومن بعده الغلال (الشعير والقمح) ومن البقوليات (الفول) ومن الفواكه اليابسة (البلح والعنب)[80].

ومن مواد الصباغة (النيلة والزعفران) كما كان لقشر اللوز أهمية ملحوظة فى الصادرات، ولا تقل عنه أهمية الأعشاب الطبية والبهار والقرنفل وكذلك السلال.[81]

أما الجلود فقد كانت تصدر بكميات ضخمة خلال هذا القرن، وكانت جلود الحيوانات واحدة من الصادرات الأساسية، وكان من النادر غيابها من

أى سلع كثيرة مصدرة عبر مياه البحر المتوسط[82]، وازداد الطلب خلال هذا القرن من الأوروبيين على الخيول[83].

وأخيراً يأتى ريش النعام بين السلع التجارية المتبادلة عبر البحر المتوسط، حيث تطورت التجارة فيه بطريقة ملفتة للنظر منذ نهاية القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى، فكان ريش النعام يمثل أهم وسائل الزينة عند النساء وكانت حلية أساسية تتزين بها النساء فى فرنسا فى عهد هنرى الثانى Henri II ، فريش النعام الأفريقى كان يصدر كتميمات أو تعويزات[84].

ولقد كان التفوق فى النشاط التجارى بين مرسيليا ومدن المغرب الشمالية معقوداً للتجار اليهود بعد عام٦٤٦هـ/١٢٤٨م، الذين شحنوا من مدن المغرب الشمالية الفرو والزعفران والصوف والقرنفل والعملات النقدية، كما كان للتجار المرسيليين وكلاء فى تجارة الذهب والعبيد بين بلدان السودان عبر بلاد المغرب إلى أوروبا[85].

أما أهم السلع التى ورد ذكرها فى الوثائق المرسيلية خلال القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى والتى كانت تستوردها مدن المغرب المختلفة فكانت: المعادن: (الحديد، الفولاذ، القصدير) و(العملات النقدية، من الذهب، والفضة) إلى جانب الأسلحة، والأخشاب والورق والنسيج[86]، ومن المواد الطبية (الكافور، والعطور) والعنبر والمسك، والصمغ، الطيور لاسيما (النسور، والسناقر) [87].

هوامش البحث:

---

(١) هناك عدد لا بأس به من الدراسات حول هذا الموضوع نذكر منها على سبيل المثال، هيكيلى أمارى: البراءات العربية، دار المحفوظات الملكية بفلورنسه، فلورانس ١٨٦٣، وملحق فلورانس، ١٨٦٧.

Brunschvig (R.): Note sur un Traite. Conclu entre tunis et l'empereur Fredenic II. In Revue Tunisienne, III, 1932.

Lopez (R.S.): le facteur economique dans la politique africaine des papes. In Revue historique. CXC VIII, 1947.

Mascarello: Quelque aspects des activites Italienne dans le Maghreb Medieval. R.O.H.M.

Guicahard (P.): Genes et le Maghreb au XV siecle

بحث منشور ضمن كتاب الغرب الإسلامى والغرب المسيحى فى العصور الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رقم ٤٨، لعام١٩٩٥م.

balletto (L.): les rélation entne Genes et le Maghneb occidental au Moyen Age. Aspects politiques et economiques.

أيضاً بحث منشور ضمن كتاب الغرب الإسلامى والغرب المسيحى فى العصور الوسطى رقم ٤٨، لعام ١٩٩٥م.

Henni(R.) Bautier: les marchands et banquiers de Plaisance dans l'economie Interantionale du X IIe au XV siecle.

Boutier (R.H.): la Marine d'Amalfi dans le trafic mediterranéen du xIve siécle Publié a commerce mèditerranéen et banquiers Itallens au Moyen-Age. Paris, 1991.

سلفاتورى بونو: العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا فى العصر الوسيط ، ترجمة: عمر محمد الباروني، مجلة البحوث التاريخية، الجزائر، السنة الثامنة ، العدد الثانى، ١٩٨٦م.

هذا إلى جانب عدد كبير من الأبحاث المنشورة باللغة الايطالية.

(٢) أما فيما يخص الأبحاث المنشورة عن العلاقات الاقتصادية بين أسبانيا وبلدان المغرب فهى كثير ومتنوعة أيضاً.

(٣) نشر هذا البحث فى Melanges d'histoire et arch de L'occident Musulman, Alger, 1927.

(٤) نشر هذا البحث فى مجلة هسبريس العدد T.X Liv 4e et 4 Tr. عام ١٩٥٧م.

(٥) Blancard (L.): Document inedits Sur Le commerce de Marseille au Moyen-Age Marseille. 2 Vol. 1884- 1885.

(٦) De Mas Latrie (M.L.): Traites de paix et de Commerce et documents divers concernant les rélation des chrétiens avec les Arabes de l'Afriqe septentrionale au Moyen-Age, Paris, 1866.

ثم صدر مجلد ملحق وقوائم باريس ١٨٧٢م.

Supplement et tables, Paris, 1872

(٧)De Mas Latrie (M.L.): Document sur le commerce maritine du midi de la France T.X. bilble de l'ècole de charte, 1846. P.203.

وينوه De Mas Latrie (M.L.): إلى أنه منذ زمن طويل وجد تجار مسيحيون فى مدينة سبتة جاءوا للصيد فى مياه هذه المدينة.

(٨) chovin (G.): Aperçu sur les rélations de la France avec le Maroc. P. 269.

Sayous (A .E.): le commerce des Euroupen a Tunis, Paris, 1929. P. 25.

(٩) Sayous: ibid, p. 60.

(١٠) سلفا تورى يونو: العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا، ص٣٢٨.

(١١) Bautier(R.H.): les rélations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du nord et l'equilibre economique méditerranéen du X II au XIVe Siécle-publie´ dans commerce méditerraneen et banquiers italions au Moyen- Age. Paris 1991. P.411.

(١٢) Dufourcq (C.E): la question de Ceuta au X IIIe Siécle, Hésperis, Paris, 1955, p.69.

(١٣) De Mas Latrie (M.L.): op. cit., p.203.

(١٤) أبـــو العـــباس أحمد العزفى: إثبات ماليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهـــم والصاع والمد، دراسة محمد الشريف، الإمارات، أبو ظبى، منشورات المجمع الثقافى ، ١٩٩٩م، انظر مقدمة المحقق، ص٢٧.

(١٥) Bautier(R.H): op. cit., p.411.

(١٦) Dufourcq (C.E): la vie quotidienne dans le ports méditerraneen au Moyen- Age, Hachette, Paris, 1981. P.111.

(١٧) Dufourcq: op. cit., p.42.

ويحدد هذا المؤرخ فترة العشرين عاماً التى قضاها التاجر Manduel بتاريخ ١٢٥٥- ١٢٧٥ إلا إننا نرى أن هذا تاريخ متأخر، حيث أن هناك وثيقة من أرشيف مدينة مرسيليا مؤرخة فى ١٢ يونيه ١٢٣٠م، نقلها Blancard فى وثائقه توضح أن الأعمال التجارية لهذا التاجر سابقة عن التاريخ الذى أشار إليه شارل ايمونيل. انظر:

Blancard: op. cit., p.33.

(١٨) Sayous: op. cit., p.65.

(١٩) Blancard: Document inédits sur le commerce du Marseille T.I. p33.

(٢٠) Bancard: Ibid, T , I. Pp.37-38.

* la Commenda: نظام تجارى كان يقوم على أن أصحاب رؤوس الأموال يقدمون أموالهم لأحد التجار ليتاجر بها مقابل أن يعود ربع الربح للتاجر والثلاثة أرباع الأخرى لأصحاب رؤوس الأموال ولعبت la Commenda الدور الأساسى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين فى بلدان أوروبا الجنوبية وتطورت لتحتل مكاناً هاماً من الأعمال التى تقترب قانونياً من عقود الشركات الجماعية، لكن مع نهايات القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر فقد هذا النظام أهميته لأسباب بسيطة ، حيث أنه كان يقوم على تنظيم عمليات التصدير والتجارة فى الأماكن التى تم الاتفاق عليها فى العقود التجارية المنعقدة بين أصحاب رؤوس الأموال والتجار، ومع نزوح التجار إلى توكيل وكلاء من قبلهم لإتمام الأعمال التجارية فى الأماكن البعيدة فبدأ أصحاب رؤوس الأموال فى تغيير النظام القدم إلى نظام جديد فظهرت la Societas وأخذت دورها بسرعة حتى اقتربت من عقد عام للشركات الجماعية. انظر: Sayous: op.cit., p.13.

(٢١) Blancard: Ibid: p. 37- 38.

(٢٢) Bautier(R.H): les rélation commerciale entre l'Euroupe et l'Afrique. P.411.

(٢٣) Bautier(R.H): ibid, p. 411.

(٢٤) أمـــين توفيق الطيبى: النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبتة المغربية فى القرن الثامن الهجرى، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثانى، يوليه ١٩٨٦م، ص٢٩٧.

(٢٥) Andre E.Sayous: op. cit., p.62.

(٢٦) Sayous(A.E): Ibid., p.61- 62.

(٢٧) Sayous(A.E): Ibid., p.63.

(٢٨) Sayous(A.E): Ibid., p.63.

(٢٩) Sayous(A.E): Ibid., p.64.

(٣٠) Blancard: Documments Inidits. T.I. p.172.

(٣١) أمين توفيق الطين: المرجع السابق، ص٢٩٧.

(٣٢) Blancard: Le Millares étude sur une monnaie de XIIIe Siécle de L'arabe par les chrétienne pour les besoins de leur commerce en pays Maure.

(٣٣) بـــن قـــربة صالح: انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحى فى القـــرون الوســـطى، بحـــث منشور فى كتاب الغرب الإسلامى، والغرب المسيحى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رقم ٤٨، عام ١٩٩٥، ص ١٨٥- ١٨٦.

(٣٤) أبو العباس أحمد العزفى: المصدر السابق، انظر مقدمة المحقق، ص١٣، ١٤، ٢٦، ٢٧.

(٣٥) أبو العباس أحمد العزفى: المصدر السابق، ص١١٩ -١٢٠.

(٣٦) Bautier(R.H): Les rélation commerciales entre l'Europe et l'Afrique. P.412.

(٣٧) Dufourq(C.E): la question de Ceuta au XIIIe Siécle. P.107.

(٣٨) Raoul Busquet: Histoire du Commerce de Marseille, Paric, 1951, pp. 169- 180. 365.

(٣٩) Dufourq(C.E): Ibid. p.106.

وكان هذا الأمير يدعى أبو على بن هليس.

(٤٠) Blancard: op. cit., T.I. p. 267.

فى عام ١٢٨٥- ١٢٨٦ كان واحد دينار مغربى يعادل ١٥ Sous برشلونى. انظر:

Dufourq(C.E): prix et niveaux de vie dans les pays catalans et maghribins à la fin du X III et au debut du XIV Siécle. P. 477.

(٤١) Blancard: Ibid. T.II. pl. 204- 205.

(٤٢) Blancard: Ibid. T.II. pl. 204- 205.

(٤٣) Blancard: Ibid. P.205.

(٤٤) Blancard: Ibid., p. 206.

(٤٥) Blancard: Ibid., p. 306.

(٤٦) Dufourq(C.E): Cmmerce du Magherb médieval avec l'Europe chrétienneet marine musulmane, donnees connues et problemes ensuspens. Centre d'Etude et de recherches economiques et sociales, Tunis, cahier serie Histoire n'I. P168.

(٤٧) Ibid, p. 177.

(٤٨) Baratier (E.d): Histoire du commerce de Marsille, Paris, 1951, p. 193.

(٤٩) Archives de Montpllier. B.A.CA.Reg. 13F.297, No.110.

(٥٠) القادرى بوتشيش: الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامى خلال عصر الموحدين، بحث منشور بكتاب تاريخ المغرب الإسلامى ، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٤، ص٩٥.

(٥١) Dufourq(C.E): les consulats catalans de Tunis et Bougie au temps de Jacques le Conquerant Anuario de Estudios medievales 3. Barcelona, 1966, p.472.

(٥٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٢، طبعة بيروت، ص٢٩١.

تشير المصادر الأوربية بخصوص هذا الأمر أن التاجر أبو العباس اللبيانى أقرض من قبل التجار الفرنسيين - جنوب فرنسا- بمبلغ ٣٠٠ ألف دينار، فى حين يجعل ابن خلدون هذا المبلغ بـ ٣٠٠ دينار . انظر:

Histoire de la Marine France. T.I. p. 186.

Sayous(E.A): Le Commerce des Europeens à Tunis. P. 60.

والملـــك الفرنسى الذى أشار إليه ابن خلدون هو سان لويس Sanit Louis ويجعل ابن أبي ديـــنار ثمن هذه المصالحة ألف ومائة قنطار وعشرة قناطير من الفضة على أن تكون الهدنة خمســـة عشر عاماً، ويشير أيضا إلى أن ثمة صلحاً قد تم. كما أنه يشير إلى أسباب أخرى غير التى ذكرها المصادر الأوروبية وابن خلدون فى الأسباب المباشرة لهذه الحملة الصليبية. انظر، ابـــن أبي ديـــنار: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، لبنان، دار المسيرة، ط٣، ١٩٩٣م، ص ١٥٨- ١٥٩.

(٥٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٢٩١.

(٥٤) Bautier(R.H): op. cit., p. 412.

(٥٥) Bautier(R.H): op. cit., p.413.

(٥٦) نص هذه المعاهدة نشره Sacy فى

Les Memoirs de L'Academie des inscription et bollelettres, nouvelle Serie. T.IX. p.463.

(٥٧) Bautier(R.H): op. cit., p.412.

(٥٨)Dufourq(C.E): la vie quotidienne dans les ports méditerraneene au Moyen-Age, Paris, Hachette, 1975. P. 116.

(٥٩) Ibid. p.116.

(٦٠) DeMas-Latrie: Traites de paix et de commerce et documents divers concernant les rélarion des chrétiens avec les arabes de L'Afrique Septentrionale au Moyen-Age Paris, 1866-1875. P. 80-90.

(٦١) Dufourq(C.E): op. cit., p. 116.

(٦٢) Gisele(C): Les Marseillais à Ceuta au 13e Siécle, p. 278, DeMas-latrie: op. cit., p. 80-90.

(٦٣) Archives des Montpellier B. Ach. Reg. 13 F, 291, no.110.

(٦٤) Blancard: Documments inidits. T.II. p. 356.

(٦٥) Archives Anians. B.ACA, Reg. 21, F. 7511.

(٦٦) Dufourq(C.E): op. cit., p. 117.

(٦٧)Dufourq(C.E): Ibid. p.117.

(٦٨) القـــادرى بوتشيش: الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامى خلال عصر الموحدين، ص ٩٦.

(٦٩) القادرى بوتشيش: المرجع السابق، ص٩٦.

(٧٠) Archive de Montpllier. B.A CA-Reg. 13f. 291.

(٧١) Dufourq(C.E): op. cit., p.117.

(٧٢) Dufourq(C.E): Ibid., p.118.

(٧٣) Dufourq(C.E): Ibid., p.119.

(٧٤) Dufourq(C.E): Ibid., p.117.

(٧٥) DeMas-Latrie: Traites entre chrétiens et Arabes au Moyen-Age., Blancard: Documment inidits T.I. p.267.

(٧٦) Dufourq(C.E): la vie quotidienne dans l'Europe miedival sous domination Arabe, Hachette, 1978. P.192.

(٧٧) Dufourq(C.E): La vie quotidienne dans les ports méditerraneens au Moyen-Age. P. 112-113.

(٧٨) Devisse(J.): Routes de Commerce et echanges en Afrique Occidentale enrelation avec la Méditerranee, Revue d'histoire economique et Sociale, 1972. P.58.

(٧٩) Dufourq(C.E): Commerce du Magherb medieval avec L'Europe. pp. 168. 177.

(٨٠) DeMas-Latrie: op. cit.

(٨١) Oliel(J.): Les Juifs au Sahara, le Touat au Moyen-Age, Paris, 1991, P. 68.

(٨٢) Dufourq(C.E): Commerce du Mogherb médival. P. 175.

(٨٣) Blancard: op. cit. T.II. p. 307.

(٨٤) Oliel(J.): op. cit., p.68.

(٨٥) Oliel(J.): Ibid., p.69.

(٨٦) Blancard: op. cit., T.II. p. 309. M. Lombard: Arsenaux et bois de marine dans la méditerranee muslman, VX in Espacs et reseaux du haut Moyen-Age, Paris, La Hay, 1972, p. 71.

(٨٧) Oliel(J.): op. cit., p. 68.

مصادر ومراجع البحث:

مصادر باللغة العربية:

١. ابـــن خلـــدون: تـــاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتاب اللبنانى ١٩٥٦-١٩٦١.

٢. ابـــن أبي ديـــنار: محمد بن القاسم القيروانى، المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، لبنان، دار المسيرة، ط٣، ١٩٩١م.

٣. العـــزفى: (أبو العباس أحمد) إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، دراسة محمد الشريف، الإمارات، أبو ظبى، منشورات المجمع الثقافى، ١٩٩٩م.

المراجع:

٣. إبراهيم القادرى بوتشيش: الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامى، خلال عصر الموحديـــن، منشـــور ضمن كتاب تاريخ الغرب الإسلامى، قراءات جديدة، بيروت، دار الطليعة١٩٩٤م.

٤. أمـــين توفيق الطيبى: النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبتة المغربية فى القرن الـــثامن الهجـــرى، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثانى، يوليه ١٩٨٦م.

٥. بـــن قربة صالح: انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحى فى القـــرون الوسطى، منشور ضمن كتاب الغرب الإسلامى

والغرب المسيحى فى القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٥م.

٦. سلفاتورى بونو: العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا فى العصر الوسيط، ترجمة عمر محمد الباروني، مجلة البحوث التاريخية، الجزائر، السنة الثامنة، العدد الثانى ١٩٨٦ .

باللغة الفرنسية:

1-Archives de Montpellier: B.A.CA, Reg. 13f. 291.no, 110.

2-Archives Anians : B.ACA, Reg. 21. F. 751.

3- Sayous(A.E): Le commerce des Europen à Tunis, Paris, 1929.

4-Baratier. E.D. : Histoire du Commerce de Marseille, Paris, 1951.

5-Bautier. (R.H):

- Les rélations commerciales entre L'Europe et L'Afrique du nord et L'equilibre economique méditerranèen du XIIe au XIV Siécle, dans Commerce méditerraneen et banquiers Italien au Moyen-Age. Paris. 1991.

6- De Mas Latrie(M.L): Document sur le commerce maritine du midi de la france.T.X. bilblé de L'école le charte, 1846.

- Traites de paix et de Commerce et documents divers concernant les rélation des chrétiens avec les Arabes de la Afrique septentrionale au Moye-Age. 1866-1875.
- Supplement et Tables, Paris, 1872.

7- Devisse. J. : Route de commerce et echange en Afrique Occidentale en rélation Avec la Méditerranee. Revue d'Histoire economique et sociale, 1972.

8- Dufourcq (C.E):

- La question de Ceuta au XIIIe Siécle. Hésperis, Paris, 1955.
- La Vie quotidienne dans le ports méditerraneen au Moyen-Age. Haehette, Paris, 1981.
- Commerce du Magherb Medieval avec L'Europe chrétienne et marine musulmane: donnees Connues et problemes en suspens, Centre d'etude et de recherches economiques et sociales, Tunis, cahier serie histoire. no. I.
- La vie quotidienne dans L'Europe medieval Sous domination Arabe, hachette, Paris, 1978.
- Les Consulats Catalans de Tunis et de Bougie au temps de Jacques les conquerant. Anuario de Estudios medievales 3. Barcelona, 1965.

9- Chovin(G.): Aperçu sur les rélations de la france avec le Maroc des origines à la fin du Moyen-Age, Melanges d'histoire et arch de L'occident Musulman, Alger, 1927.
- Les Marseillais à Ceuta au 13 Siecle. Hésperis, T.X. Liv3e et 4 Tr. 1957.

10- Lombard. M. : Arsenaux et bois de marine dans la méditerranee musulmane V.X. in espacs et reseaux du haut Moxen-Age. Paris, La Haye. 1975.

11- Blancard(L.):
- Le Millares etude sur une monnaie de X IIIe Siecle de L'Arabe par les chrétienne pour les besoins de leur Commerce en pays Maure.
- Documment inedits sur le commerce de Marseille au Moyen-Age, Marseille 2. Vol. 1884- 1885.

12- Oliel(J.): Les Juifs au Sahara. Le Touat au Moyen-Age. Paris, 1991.

13- Sacy: Les Memoirs de L'Academie des inscription et belle- Lettres, nouvelle Serie.T.IX.